ed. Wellhausen, ١٧) وكتبهُ الطبريّ (١ : ٢٣٧٤) « يوحنَّة بن روبة ». وورد في التاج (٩ : ١٨٥) اسم « حنَّة » كوالد عمرو الصحابي وهي صورة اخرى للاسم ذاتهِ

(يونس) مرَّ بك انهُ تعريب اسم يونان النبيّ . ولا نشكّ في انَّهُ اسم يوحنَّا على لفظهِ اليوناني فشأنهُ ان يحرّك يُونَّس . Ἰωάννης لا سيما اذا كان المتسمّون بهِ من النصارى ونجد في تاريخ نصارى العراق ممَّن دُعوا بهذا الاسم وهم يكتبونهُ يُوانيس (راجع تاريخ ماري بن سليمان ص ٧٦ و٨٣ و٩٩) وقد ذكر ياقوت (٢ : ٧١٠) بين ادبار مصر « دير يُحَنَّس » وهو اقرب الى الاصل (لهُ بقيَّة)

الولادة في الحيوان

نظرٌ للاب اسكندر طوران اليسوعي (نشأة)

انَّ ما سبق لنا قولهُ عن إعداد الفراشة لغذاء صغارها عند خروجهم من البيضة ليس هو خاصًّا بها بل هو شائع في كافَّة الهوامّ سواء كانت ذات جناحين كالذباب او ذات اربعة اجنحة غشائيَّة كالنحل او ذات اجنحة غمديَّة . فانَّ لكلّ منها غريزتها النوعيَّة التي تحدو بها الى ان تكفل لنسلها قوتهُ عند مولدهِ . وهذه امثلةٌ تؤيد قولنا نستعيرها من كتاب مرَّ لنا ذكرهُ وسوف نشير اليهِ فيما يأتي Fabre : *Souvenirs Entomologiques*

واوَّل ما يعنُّ لنا منها حشرةٌ تُدعى الصرصر صيَّاد البوبراسة Cerceris) (Bupresticide لأنَّهُ يقاتل هذا الزير الذي وصفهُ المشرق ونشر صور اشكالهِ (١٦ : ١٦) ويدَّخر لحمهُ لصغارهِ كما رأيت من فعل البيلوبيوس بالعنكبوت

ولصرصرنا هذا اربعة اجنحة كالزنبور وهو صغير الجسم يحفر الارض الى عمق قدَم ليتَّخذ هناك وكرًا لذرِّيَّتهِ ولهذا الوكر سربٌ يفضي الى خمس خلايا تكفي الواحدة لثلث او اربع هوامّ من البوبراست . وقد رأيت ان البيلوبيوس يُحسن البناء. امَّا هذا الصرصر فغفَّار ماهر اذ لكلّ حيوان صنعتهُ الفطرية

وليت شعري ما لهذا الصرصر يُقدم على هذا الفعل المستشنع فيناجز القتال هامةً سليمة الطباع أفهو محتاج الى لحم زملائهِ ليغتذي بهِ ؟ كلَّا فانهُ يتعيَّش بامتصاص عسل الزهور كالپيلوپيوس والفراش . او هل يمكنهُ ان يختبر طباع صغارهِ ونهمهم الى اللحم ؟ كلَّا لأنهُ لا يكاد يضع بيضهُ حتى يموت بعد أيام قليلة اما صغارهُ فانها تبقى في فيلجتها زمناً طويلاً الى ان تخرج من حبسها في اوان الربيع . فكيف اذن علم بان هؤلاء الصغار عند تقفُّص الفيلجة يحتاجون الى اللحم ولحم هامة البوپراست دون غيرها ؟ او كيف لم يغلط الصرصر في صيدهِ ولم يقتنص غير البوپراست . والبوپراست فصيلة كثيرة الانواع المختلفة بالصورة والهيئة والاون لكنَّ الصرصر يميزها دائماً عن سواها ولا يصطاد غير افرادها من اي نوع كانوا . ومنها ما هو اكبر منهُ جرماً واذا اصطادها فعل كالپيلوپيوس فانهُ ينفذ في جسمها لعاباً مخدِّرًا بحيث لا تموت ولا تستطيع اذىً ريثما تأكلها صغار الصرصر طعاماً هنيئاً مريئاً وهي لو كانت في صحتها دون تخدير لافترست كلَّ اولئك الحشرات باسهل طريقة

وهذه الصراصر المذكورة تختلف ايضاً بانواعها . فمنها ما يسطو على السوس اي الدويبة الصغيرة التي يمدُّها ارباب الفلاحة كآفة لاعرانهم وهي في طول بضعة ملمترات رأسها يمتد على شكل خرطوم ناعم . وهذه الدويبات ايضاً انواع لا تكاد تُحصى تتباين صورةً ولوناً وحجماً . ولأنَّ الطبيعة جعلتها رزقاً لنسل الصراصر المارِّ ذكرها هيَّت هذه الصراصر وأصلتها حرباً عواناً وافرزتها من سواها وجمت منها في يومين عدداً وافراً من كلِّ نوع دون ان تحيد عن فصيلة السوس . فمن اين يا تُرى لهذه الهامة تلك الغريزة التي توقفها على اشكال غنيستها بتلك السرعة ولو بحث الانسان المغرم بجمع اصناف الدويبات على هذه الانواع لما وجد منها الَّا شكلين او ثلثة اشكال فقط في تلك المدَّة

*

انظر الآن الى حشرة أخرى طيَّارة ذات اربعة اجنحة غشائيَّة (hyménoptère) يدعونها اسقولية (Scolie) تشبه في صورتها زنبوراً كبيراً لولا انَّ ارباب علم الهوام يجدون بينها وبين الزنبور اختلافاً كبيراً سواء كان في تركيبها او في اخلاقها منها انَّ الزنبور اذا شاء ابتناء وكرهِ بناهُ تحت التراب او في تجاويف الجدران وجعل لهُ

خلايا من الرقوق العسلية وغذا نسلهُ بطعام يومي وهو يعيش عدَّة اشهر . اما الاسقولية فانها اذا تحوَّلت من شكل الدودة الى شكل الهامة الطائرة لا تعيش الَّا أيامًا واذا اجتمعت بذكرها عادت الى اعماق الارض وذلك يصعب على جامعي الهوام الحصول عليها

والانثى بعد سفادها تسرع الى حفر سرب في الارض بقوائمها واذا نفذت في السرب سدَّت من ورائها بابهُ . وان سألت عمَّا تصنع هناك أهي تُعدّ عشًّا لفراخها ؟ اجبناك كلَّا وانَّما تحفر الارض كالخلد (Taupe) طلبًا للرزق لا لنفسها لانَّها لا تأكل وتطوي صائمةً بل اصغارها اذا وُلدوا . وايُّ رزقٍ عساها ان تجدهُ في اعماق الارض ؟ انَّ هناك دودًا يوافق ذريتها يعيش في وسط المواد الآليَّة البالية وهو دود دويبة يدعونها بشوان (Céroine) من الزيزان العسليَّة الاجنحة ذات الالوان اللطيفة الزرقاء والذهبيَّة التي يحبُّ صيدها الاحداث فيربطونها بخيط ويطيرونها . فدود هذا الزيز هو الطعام الذي تبحث عنهُ دويبة الاسقولية ولا تريد غيرهُ وهي تُرشَد اليهِ من طبعها فتصيبهُ لا محالة . واذا ألفت دودةً منهُ نفذت فيها لعابها المخدّر واركزت فوقها بيضةً من بيضها ثمَّ تعمد الى دودة أخرى فتعمل كذلك وهكذا تستغني عن الاوكار لنفسها ولصغارها امَّا البيضة المودعة على الدودة المخدّرة فتفقس في وقتها بقوَّة حرارة التربة ورطوبتها فيخرج منها دودة صغيرة تجد قوتها مهيَّأً اعدَّتهُ لها امُّها قبل موتها بعنايتها بل قل بعناية الخالق سبحانهُ وتعالى

لكنَّ هناك مشكلًا كبيرًا . هذه الدودة المولودة حديثًا تحتاج الى قوتها لمدَّة طويلة وهي عاجزة عن تحصيلهِ بنفسها . تقول انَّ أمامها الدودة المخدَّرة الطريَّة اللحم . ولكن ان أكلت بعض اجهزتها الحيويَّة ماتت فريستها وفسدت ولا تعود تصلح للغذاء فماذا تصنع الدودة تموت جوعًا لا محالة او تتسمَّم بأكل اللحم الفاسد . فانظر رعاك الله كيف تحلّ هذا المشكل العويص فانَّها بقوَّة غريزتها تختار من الدودة المخدَّرة اطرافها السمينة التي تمتصُّها دون ان تُلحق بها الموت واذا انتهت منها عمدت الى الاعضاء الباطنة دون أن تمسّ الأعصاب التي هي اجهزة الحياة فلا تقرضها الَّا في الاخير وهكذا يبقى لها الغذاء طيبًا طريًّا الى ان تنمو اجنحتها

فالمسيو فابر مؤلف الكتاب الذي ذكرنا عنوانهُ يستنتج من مثل هذه الهامَّة اي

الاسقولية ومن امثال اخرى عديدة لغيرها من الهوامّ انّ تلك الحشرات لا تعرف فقط بغريزتها الفطريّة ما يصلح لصغارها عند مولدهم من الطعام الموافق لهم ولكن اولئك الصغار خُصُّوا بتلك الميزة الغريبة أن ينظّموا طعامهم تنظيماً مذهلاً يكفيهم لطول مدّة قصورهم عن الطيران دون ان يَفسد او ينتن

فنسأل هنا اصحاب مذهب النشوء من اين لهذه الحشرات هذا العلم العجيب ؟ فان قالوا انّها نالته بالوراثة سألناهم وكيف الانسان وهو على زعمهم وريث كل الحيوانات السفلى التي هو مولود منها بالترقي لم يحصل على هذه المعرفة ؟ ومن منّا يجهل انّ ابن البنّاء والحيّاك والحدّاد والعالم لا يرث بمجرّد ولادته من ابويه صناعة البناء والحياكة والحدادة او اي علم كان وانّه يحتاج لاتقان هذه المعارف الى ممارسة طويلة ؟ فالوراثة اذن لا تفيدنا علماً لحلّ هذا المشكل

وان قيل انّ هذه المواليد الحيوانيّة امكنها ان تتعلّم من غيرها بنظرها الى احد ابناء جنسها او بالعادة . كان الجواب سهلاً . وهو انّ هذه الحشرات تعيش غالباً منفردةً في جوف الارض لا رفيق لها يفيدها بمثله . امّا العادة فلا تتمّ الّا بالتوالي وبتكرار العمل يوماً بعد آخر وذلك ممّا يخالف حالة تلك الحشرات التي تجدها كلّها في ساعة مولدها حاصلة على تمام المعرفة . فانّ دودة الاسقولية التي سبق ذكرها لو اقتضى لها ان تتفقه احوال غريزتها بالاختبار والعادة لقتلتها ألف مرّة قبل أن تعلم انّ فيها اقساماً حيويّة لا يجوز مسّها لئلا تموت فيفسد لحمها . ثمّ يجب على هذه الدودة أن تفكّر في امور عديدة وتقابل بينها وتستنتج منها النتائج العمليّة لتعمل بها حالها ولا تأتي بنفسها في التهلكة ان باشرت بأكل الاعضاء الاصليّة فيفسد غذاؤها وتتسمّم هي به اذ ليس لها طعام غيرها . وما يقال عن هذه الدودة يقال عن كل المواليد من جنسها فانّها كلّها خُصّت بالعلم ذاته والحذاقة ذاتها دون اختلاف البتّة

وعليه يمكننا ان نختم هذه الملحوظات بكلام المسيو فابر فنقول : « انّ الهامّة الاولى من اي صنف كان من الهوامّ لو حاولت ان تغذي صغارها بدودة السيتوان او دودة حشرة اخرى يقتضي حفظها مدّةً طويلة ما كانت لتلد صغارها قبل ان تعرف المعرفة التامّة كيف يُحفظ الطعام دون ان يَفسد . لأنّ تلك الهامّة ما امكنها ان تحرز هذا العلم لا بالعادة ولا بالوراثة كما يزعم اصحاب مذهب النشوء اذ هي

كما افترضنا الهامّة الاولى من جنسها. ولا بُدَّ من القول انَّ الدودة الناشئة (دون علم سابق ولا عادة سابقة) كانت لا محالة سطت على طعامها فأكلت منهُ ما حضر دون تمييز وبذلك افسدت طعامها واتلفت نفسها (١).

وهذه الحشرات الثلث التي اتسعنا في تعريف غرائزها ليست هي الوحيدة التي تهيّئ لفراخها طعامهم بتخدير ضحاياها ليتسنَّى الصغار بأكلها دون عناء ولا ضرر فانَّ مثلها كثير ايضاً من الهوامّ التي لا تصطاد غالباً الَّا نوعاً واحداً من الدوّيبات. فان الجنس المعروف بسفاكس (Sphex) الكثير الاشكال يحفر لهُ في الارض وكرًا دافئاً ويجعلُ فيهِ بعض الخلايا التي يكبس فيها المؤونة. ومؤونة هذه هي مطلقاً من الهوامّ ذوات الاجنحة المتساوية (orthoptères) فمنها ما يصطاد الزيزان وغيرها الجراد او الجنادب (Ephippigère). واغرب من ذلك انَّ بعضها لا يطارد غير اناث الجنادب دون الذكور كأنهُ يعلم انَّ الاناث المسمّنة ببيضها ادسم قوتاً واشهى غذاء.

ومن الهوامّ صنفٌ آخر يُدعى أومان (Eumène) يملأُ وكرهُ من ديدان صغيرة لا يبلغ طولها سنتمترًا واحدًا. ومثلهُ الصنف المدعوّ أوديناز (Odynère). على خلاف الصنف المعروف بأمّوفيل (Ammophile) فانهُ على شبه الاسقولية التي وصفناها سابقاً يكتفي بدودةٍ واحدة كبيرة وهو لا يختار سوى دودة الصرصور (Hanneton) المعروفة بالدودة البيضاء او الرمداء التي يعدُّها الفلّاحون آفةً للبساتين تقرضها اصول البقول. وبذلك يخدم البستانيين خدمةً يستحقُّ عليها شكرهم. ومن الأمّوفيل نوع لا يطارد الَّا دود فراش الليل دون فراش النهار

وكذلك الهامّة المعروفة بتاخيت (Tachyte) فانها تتَّخذ لصغارها طعاماً الدوّيبة المعروفة بجمل اليهود. وقس عليهِ بقيَّة الحشرات

ومن الهوامّ ما يصطنع من الطين شبه الفناجين الصغيرة يطلونها بملاط يمنع رشحها فيملأونها عسلًا ويجعلون فيها بيضة ثمَّ يسدُّون الفنجان. هكذا تفعل الهوام المعروفة بخاليكودوم (Chalicodome) والأنتوفور (Anthophore) وغيرهما.

---

١) راجع FABRE: *Souvenirs Entomologiques*, 3e *Série*, p. 35

ومنها ما يغذي صغاره بعسل يجنيه كل يوم كما تفعل النحلة الاهليَّة. اما البَنبكس (Bembex) فانهُ يصطاد كل يوم ذبابةً فيطعمها صغارهُ دون ان يخدّرها

واعجب من ذلك الهامّة المطاردة للنحل (Philanthus apivore) فانها ترصد جثث النحل الميتة فاذا وجدت منها واحدةً امتصَّت لنفسها ما خزنتهُ النحلة من العسل في حوصلتها ثمَّ نقلت الجثَّة الى صغارها لتأكلهُ . ولا تَقُل انَّ هذه الامّ تفضّل نفسها على صغارها بأكلها العسل كلَّا فانها تعلم انَّ العسل سمٌّ ذعاف لفسائها فتحذر من ان تطعمها منهُ . وان سألت وكيف عرفتَ ذلك ؟ اجابك العلّامة المسيو فابر انهُ اختبر الامر بنفسهِ فانهُ جمع صغار الهامّة المذكورة فقسمها قسمين غذا قسماً بجثث نحل غير مصفّاة من عسلها وقسماً بنحل مفرّغة من عسلها فمات القسم الاوّل بخلاف الثاني الذي نما حتى بلغ اشدَّهُ

وقد قرأنا في بعض اعداد مجلة كُسموس العلمية (Cosmos, 19, X^bre, 1912) انَّ في جزيرتَي موريس وبوربون نوعاً من الزنابير يدعى كلوريون (Chlorion) يغذي صغارهُ بالجعلان المخدَّرة . فيا ليت احداً يجلب الى هذه البلاد تلك الهامّة لتنظّف بيوتنا من الجعلان الوسخة

ويوجد من الحشرات صنفٌ يعرف بالبَقريّ (Bousiers) لانهُ يطمر البعر في الارض ويجعلهُ مبيتاً لبيضهِ ليتقوَّت منهُ عند مولدهِ

ومن الحشرات ما لا يهيّئ طعاماً للصغار وانما تبيض الانثى بيضها في اماكن حيث يسهل على فراخها اذا تفقَّست وجود طعامها

أتعرف يا رعاك الله من اين يأتي الدود الذي نجدهُ في ضروب ثمارنا كالتفّاح والجوز والخوخ وبقيَّة الفواكه ؟ انما وضعتها امّهاتها امّا في اكمام الزهور قبل ان تعقد واما على الثمرة بعد عقدها وربَّما عمدت الانثى الى الثمرة الغضَّة فثقبت بوخزها جلدتها وانفذت بيضتها الى باطنها فيُولد الصغير هناك وماندته حاضرة . وتلك الذبدان اذا عاشت خرجت من حبسها على صورة فراش او ذباب او زيزان . على انَّ الامّ لم تجعل بيضها الّا في نوع الثمر الموافق لمولودها دون ان تغلط البتَّة فانَّ الانثى التي يأكل صغارها البلُّوط لا تجعل بيضها في شجرة الكستنا او البندق والعكس بالعكس . كذلك دودة اللوبيا لا تجعلها الانثى في بقلة غيرها كالحمص او العدس

دونك ما كتبهُ احد أصحاب الاعلانات الذي ادَّعى اكتشاف دواء ناجع لقتل دود التفاح والخوخ فانهُ دقَّق في وصف اصل هذا الدود قائلاً :

« انَّ دود الخوخ والتفاح يتحوَّل الى فراشة يبلغ طولها من ستَّة ملمترات الى ثمانية وذلك في اوان ازدهار الشجر فيحطُّ على الشجرة بعد عقدها حديثاً ويجعل في عينها بيضة من بيضهِ ثمَّ يستقري بقيَّة الشجر ويجعل لكل ثمرة بيضةً وقلَّما ترى دودتين في ثمرة واحدة . وهذه البيضة البالغة ١٢ ملمترًا طولاً تتفقَّص ثمانية ايَّام بعد وضعها فتنقلب دودةً ارفع من الخيط وهي تتندى ان تنفذ قليلاً قليلاً في وسط الثمرة حتَّى تبلغ نواتها فتقرض غلافها ثمَّ تخترقهُ مربَّاً مختلف الاعوجاج من مركز الثمرة الى دائرتها الخارجة فتفتح لها ثقباً صغيرًا تستنشق منهُ الهواء وتلقي بزبلها لكنها تسدُّ ذاك المنفذ عن البياض . وهي تبقى في الثمرة الى أن تكتمل ثمَّ تستوي فتسقط من الشجرة وحينئذٍ تخرج الدودة من مخرجها ثمَّ تختفي في الارض او في ثمرة من الشجر حيث تنسج لها قبلجة صلبة حريريَّة تبقى فيها طول الشتاء ثمَّ تخرج في الربيع من جسمها على صورة فراشة عمَّا وضعُ بيضها على الثمرة كما قلت انفاً »

فهذا مثال محسوس يشهد لعناية الخالق بالهوامّ ويحفظ صغارها وهو يعمّ كل اجناس الحشرات فترى دائماً الانثى مهتمَّةً بوضع بيضها حيث تجد مواليدُها قوتها . ولا تفكِّر الامّ فقط في طعام صغارها لكنَّها تستدرك ايضاً أذى الشتاء لتقي صغارها من كآبتهِ فتارةً تجعل البيضة في ثمرة صلبة جدًّا وتارةً تجمع بيضها في محلّ واحد وتغطِّيهِ بمادَّة لزجة تجمد فوقها وتمنع نفوذ الماء اليها . وحيناً تولي بيضها قوَّة حيويَّة غريبة تمكِّنها من مقاساة البرد القارس مع كونها صغيرة الحجم لا تكاد تبصرها العين

اخبر في العام المنصرم احد المرسلين اليسوعيين في بلاد الاسكا شمالي كندا (Missions Catholiques, 3 Janv. 1913) انَّ بيض البعوضة هناك يصبر في الشتاء على برد يبلغ ٥٦ و٥٧ درجة تحت الصفر من المقياس المئوي . فاذا عاد فصل الصيف الذي لا يتجاوز في الاسكا شهرين او ثلاثة ويبتدئ الجليد ان يذوب بحرارة الشمس يتفقَّص ايضاً بيض البعوض فتخرج منهُ الالوف المؤلَّفة فتهجم على الانسان والحيوان ولا تدع لهما راحةً . فانَّ الانثى كانت ألقت بيضها في اوَّل الشتاء على الجليد الذائب او على الطين اللزج فاذا قرس البرد اندمج البيض في باطن الجليد وبقي سالماً مدَّة ثمانية الى عشرة اشهر دون ان تتلف جرثومة حياتهِ . فيا لله ما أشد قوَّتهُ الحيويَّة

وليس البيض فقط يُعاني مَرَّة الشتاء. ولكن كثيرًا ما يصبر عليها صغار الحشرات ودودها بعد انفلاق البيض الى ان يتحوَّل في آخر الشتاء الى فراشة. وفي هذه الحالة لا بُدَّ للدودة ان تسعى لنفسها وتصون حالها من الضرر فترى حيناً الدودة تنسج لها فيلجة تبطنها بالقطن او بالحرير او بدقائق النبات او تطليها بطلاء لزج كالشمع وذلك اما في الحلية التي اعدَّتها لها أمها او في بعض تجاويف الحيطان او ثقوب الحجارة. وحيناً تتجنَّد الدودة وتعلق نفسها بخيط حريري على احد اغصان الشجر او فوق الصخور فتبقى دون حراك الى آخر الشتاء دون ان يميتها البرد والثلج والجليد الذي يشقق الصخور دون ان يقوى على قتل تلك الحيوينات النحيفة: فيا العجب من عناية الخالق

وحيناً تكون الهامَّة بلغت نموَّها التامَّ فيباغتها الشتاء فتقضي ذلك الفصل اما في باطن الارض واما في جذر شجرة منتظرة فصل الربيع لوضع بيضها. مثالهُ الزنبور العاديّ الذي تصير اناثهُ بعد السفاد في الخريف الى ان يعود الربيع فتبتدئ بتهيئة اعشاشها

وهكذا الربّ الاله أعطى للحيوانات حتى اضعفها واتفهها الوسائط لحفظ نوعها فجعل لكل ضربٍ منها فطرةً راهنة ثابتة لا تخونها البتَّة بل تمكِّنها ان تتلافى كل حاجاتها الحاضرة والمستقبلة. وصغارها على اختلاف اجناسها تلقى عند مولدها طعاماً مناسباً اما بجانب الامّ واما بما تستحضرهُ لها من القوت. وذلك دون علم سابق ولا مَلل. واذا كبر صغارها فماتوا لسالهم كما فعل لهم اهلهم لأنَّ كل كيانهم مرجعهُ الى حفظ نفوسهم وحفظ مواليدهم

وهذا العلم الغريزيّ في الحيوان مهما اجتهد السوفسطائيّون ان يعلِّلوهُ بتعليلات غريبة فينسبوهُ تارةً الى النشوْ وتارة الى الوراثة او الى الفاظ فارغة مثلها فانَّهم لا يأتون بشرحٍ مقنع وانما يستندون الى اسانيد لا دعامة لها واهنة باطلة ما لم يقولوا مثلنا انَّ الحكمة الالهيَّة وحدها قد نظَّمت هذا الكون وجعلت لكل مواليد الطبيعة نواميسها التي تجري عليها دون ان تحيد عنها ذرَّةً وتبلغ هكذا الغاية التي حدَّدها لها الخالق سبحانهُ وتبارك اسمهُ الى الابد